السماع الصوفي–الزاوية المامشاوية بتلمسان– نموذجا–

أمتير الحسنية

طالبة دكتوراه بكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان

مدخل:

من أهم الطقوسات الصوفية لا زال السماع يمثل ظاهرة مثيرة للإعجاب من جهة و للجدل من جهة أخرى لأنه الأكثر ظهورا في التصوف و الأكثر غموضا بالنسبة للدارسين و الباحثين غير المنتمين للتيار الصوفي السني في الإسلام.

وحتى نلقي الضوء عليه ارتكزنا في هذه المقالة على بعض المؤلفات من مصادر ومراجع واعتمدنا أيضا على شهادات المنتمين إلى الزاوية المامشاوية الكائنة في مدينة تلمسان و ذلك لرفع اللبس عن ركن على الأقل من الحجاب المضروب على هذا الفن الإنشادي الديني والشعبي في آن واحد.

وسوف نتطرق في هذه المقالة إلى ضبط مصطلح "السماع" لغة واصطلاحا. ثم ننتقل إلى نشأة هذه الظاهرة ثم نقدم نظرة وجيزة عن وظيفة السماع كطقس صوفي. وبما أننا في ميدان الأخلاق سوف نولي اهتماما بالغا الآثار التي تنجم عن السماع لنصل أخيرا إلى علاقة هذا الأخير ودوره التربوي لدى الشيخ المربي في الزاوية المامشاوية.

1 /مفهوم مصطلح" السماع "[1]:

أ/ لغة :

جاء في قاموس المحيط للفيروز بادي أن السمع: حس الأذن، و الأذن و ما وقر فيها من شيء تسمعه، و الذكر المسموع، كالسماع، و يكون للواحد و الجمع: أسماع و أسامع "... [2]

ب/ اصطلاحا :

السماع عند أهل التصوف هو ذلك الإنشاد المتداول بين أهل التصوف و يخص القصائد الشعرية التي ألفها مشايخ التصوف تؤدى بألحان خاصة.

تجد المفكرة آن ماري شيمل السماع أشهر تعبير عن الحياة الصوفية في الإسلام ...[3]

وأعطى لنا مسمع الزاوية المامشاوية مفهوما للسماع بأنه :" ذكر المدائح النبوية جماعة في الزاوية " [4]

ومنهم من يرى بأنه أنا شيد يستعملها المريد ليسلك بعض الواردات التي تطرأ عليه من حين إلى آخر[5]. والسماع هو قراءة أشعار على صيغة أو لحن غنائي....[6] وهو إنشاد القصائد الصوفية[7].

وقيل السماع غداء الأرواح لأهل المعرفة، لأنه وصف يدق عن سائر الأعمال، و يدرك برقة الطبع لرقته، و بصفاء السر لصفائه عند أهله "[8].

إن الصوفية القدماء لم يعطوا تعريفا للسماع وإنما قدموا مفهوما خاصا حسب تجاربهم و أذواقهم و مواجدهم.

سئل الروذباري عن السماع فقال مكاشفة[9] الأسرار إلى مشاهدة [10] المحبوب"[11].

"والسماع أسلوب يعمد إليه بعض الصوفيين ليحصل لهم الوجد. نشأ عن تطور مجالس الذكر وملخصه أن يجتمع

الصوفيون وحدهم وهم في حالة زهد وينصرف المجتمعون إلى التأمل ويكون بينهم مغني أو قوال يترنم بألحان دينية شجية يصحب ذلك إنشاد شعر روحي". [12].

فالملاحظ أن جل التعريفات المقدمة تدل على أن السماع شعر صوفي مغنى يراعي فيه الميزان [13]

لقد اهتم القدماء بفن السماع اهتماما بالغا : تعريفه أصوله، آدابه وآثاره ولكن ماذا عن تاريخ نشأته؟[14]

2 /نشأته :

لقد اتفق العلماء الدارسون للتصوف كسلوك واعتقاد ونمط عيش وأخلاق أنه يشكل فنا و قوانين اتضحت معالمها في العالم الإسلامي منذ أواخر القرن الثاني الهجري و أن السماع الصوفي له قواعد ظهر مكتملا مع نهاية القرن الثالث الهجري.

بينما حدّد الهجويري و الكلاباذي نشأة السماع في بداية القرن الرابع الهجري.

وفي شأن تحديد الفترة التي ظهر فيها السماع الصوفي إلى الوجود فقد اختلف المؤرخون و يعتقد أهل التصوف أن ما يحدث في مجالس السماع وثيق العلاقة بالسنة النبوية الشريفة.

ويعد القرن الخامس الهجري قرنا حافلا بالدراسات القديمة التي نوهت الى تاريخ نشأته، غير أن الدراسات الإسلامية لم تتناول موضوع السماع الصوفي كظاهرة في التصوف تستحق إسالة الحبر، حيث أن معظم الدارسين اهتموا بالجانب الفقهي له و إيقاع الصوت الجميل.

ومن مشايخ التصوف من يعتبر الشيخ الجنيد المنظر الحقيقي للسماع ومنهم الشيخ أحمد الرفاعي و الشيخ جلال الدين الرومي

الذي يرجع أصل السماع إلى الترتيل المتوازن لسور القرآن الكريم في المدرسة الصوفية في بغداد حيث استعمل أصحابها السماع بانتظام"

وأكد هذا من قبل الإمام الجنيد رضي الله عنه قائلا : " إذا كانت الأرواح تحس بنشوة عند سماعها للموسيقى ، ذلك لأنها عرفتها النشأة ".

إن النغم الموسيقي يمتزج مع نغم النشأة بحيث أصل الأولى يذكر بأصل الأخرى بالمساواة ويترجمها جلال الدين الرومي بقوله:" عليك أن ترقص على قلبك " [15].

ويرى المفكّر آسين بلاثيوس أن" ذو النون المصري كان من أوائل الذين نشروا السماع في مستهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) " [16] و يوافقه الرأي لوي ماسينيون .

الشيء الذي أكدته الدراسات الحديثة هو أن البدايات الأولى لظاهرة السماع الصوفي كانت مع حلول القرن الثالث الهجري واستمرت في النمو والانتشار والتبلور بعد ذلك، وبعد انتشار الممارسات الصوفية بمختلف أنواعها،أخذت الحضرة والسماع الصوفي مكانا بينهم . [17]

كما يبدو أن السماع الصوفي نشأ من الحداء . روى أنس بن مالك رضي الله عنه:" إن النبـــي صلى الله عليـــه وسلم كان يحدى له " [18].

إن الحداء يسكت الصبي عند البكاء، فيصغي إليه ، وكان الجمل لا يتحمل قطع المسافات الطوال إلا به، يقول الغزالي :" والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الأحمال الثقيلة ، و يستقصر لقوة نشاطه في سماعه
المسافات الطويلة " (19)

و منهم من يرى أن السماع يعود الى نفخ الروح في نشأة الإنسان و أن الروح اللطيفة لم تقبل الدخول في الجسم الكثيف حتى سمعت الموسيقى وفي هذا الصدد يشير أهل الزوايا إلى النبي داود عليه السلام وعزفه على المزمار حتى كانت الطير تتأثر بشدى ألحانه عندما تقف على رأسه و عندما يكثر طربها تسقط ميتة. ويحكى أن الجن والحيوان كانت تتأثر أيضا بالاستماع إليه.

والإنسان كمخلوق لديه حس، فإذا حزن بكى وتقلصت عضلات وجهه واشتدت وإذا فرح أو سر تنبسط عضلات وجهه وربما غنى أو طرب واهتز و رقص أو وله [20].

و يمكن القول أن السماع الصوفي نشأ مع نشأة الإنسان .

والملاحظ أن مريدي الزاوية يجدون في الكتاب أو السنة والسيرة النبوية دلائل أو يرتكزون عليها لتبرير ممارسته في جلساتهم.

يقول الشيخ محمد بن يلس [21] :

وَسَمَاعْ إِخْوَانِياً يَشْفِي صَدْرَ الْحَاضِرِينْ
سَيَظْهَرْ فِيهَا نُورْ لِلْإِخْوَانِ وَ الْحُضُورْ
شُهُودُهُمْ لِلْمَذْكُورْ فِي عُمُومِ الْمَخْلُوقِينْ [22]

3 / أنواع السماع حسب الوسيلة المستعملة:

يعتمد السماع الصوفي على الصوت الإنساني فقط أو يكون مصحوبا بالآلة إضافة إلى الصوت أو يعتمد على الآلة الموسيقية فقط:

وما يهمنا في هذا البحث هو النوع الأول:

1/ السماع المعتمد على الصوت البشري المعتمد في الزاوية المامشاوية :

قدم الأستاذ عبد الحميد مشعل في كتابه " موسيقى الغناء العربي " دراسة حول تأثير نزول القرآن الكريم في الموسيقى العربية في الإسلام(23):

" لقد لبست الموسيقى العربية في الإسلام ثوبا دينيا ناصعا يوم نزل القرآن الكريم و سرت تلاوته بالصوت الجميل في النفوس سريان الطهر و العافية في الجسم السقيم. ومن إعجاز القرآن الكريم نظمه على إيقاع موسيقي رائع بسيط على المستمعين ولو كانوا غير مسلمين.

حتى قال الأجلاء أن قوانين الموسيقى قد لوحظت في القرآن الكريم تامة كاملة. كذلك الشأن في بعض الشعائر الدينية الأخرى، كالمدح النبوي والأذكار المنغّمة وكالآذان للصلاة وصلاة العيد في ألحان موسيقية ترقق حاشية الروح " [24]

واتخذ الصوفية في طقوسهم، الصوت لإنشاد أشعارهم شريطة أن يكون حسنا طيبا و جميلا حتى يتمكن من التأثير في السامعين.

ويقوم المسمع بالإنشاد مظهرا براعته في الإيقاع الصوتي واحترامه للوزن[25] التي نظمها صاحبها عليها مراعاة في سرعته وإبطائه في الإيقاع للوقت الملائم وقوانين الإنشاد كالوقف في النغمات المتعلقة بالقصائد.

لقد تعرض ابن رشيق لدراسة أنواع من الوقف الغريبة و اتخذ أمثلة كثيرة و متنوعة حول

المنشد و القصيدة المنشدة:

1- إنشاد لقصيدة مطلقة القافية مقيدة من غير اعتقاد تقييد(تقييد عفوي)
2- أن ينهي المنشد كل قافية ب " إن " الخفيفة لكي يشعر المستمع بانقضاء أو نهاية
3- إنهاء القافية بنقل الحركة من حرف إلى حرف
4- إنهاء القافية بتسكين المتحرك و تحريك الساكن

و كل هذا التفنن في الإنشاد حتى لا يتشابه المنشدون في طريقة أدائهم لكن إشعار المستمع بانتهاء البيت عن طريق الوقف العمدي لا يوافق الشعر العربي القديم المعتمد على وحدة البيت.

و ما هو مهم يقول الناقد في الدراسة هو جمال القافية الموسيقية و أجمل قافية في الشعر المنشد هي القافية الموصولة من ناحية الإيقاع و هي مفضلة على القافية المقيدة عند الإنشاد والعناصر التي تعتمد عليها اللغة العربية تختلف عن جماليات أي تشكيل صوتي في أية لغة أخرى. و هذه العناصر هي أصوات المد واللين " الألف و الواو و الياء و هذا ما يجعل بعض الباحثين يفترضون بأن خاصة " النبر" لا توجد في اللغة العربية إلا في هذه الأصوات الثلاثة.

ورمز للعناصر التي أتى بها بإشارات:

❖ ترميز النغمات الثلاث :

الرقم	ترميز النغمات الثلاث
01	النغمة الهابطة ↙
02	النغمة الصاعدة ↖
03	النغمة الأفقية ←

للمسمّع الحريّة الكاملة في تصور أو اختيار الطريقة التي يتنغم بها شعره. فيصبغه صبغة خاصة فيكون له إيقاعا خاصا به. فنجد الألحان التي لحنها الشيخ قدَور بن عاشور لقصائده الكثيرة مختلفة عن بعضها البعض كليا.

بعد الاستماع المتكرر لبعض النماذج من هذه الألحان " تبين لنا أنها لا تختلف كثيرا عن الطبوع شعبية المنتشرة في المغرب العربي و ألحانها أقرب من الفن الحوزي إلا أن الاختلاف ناتج عن تقدم استخدام الآلات الموسيقية فتضاف نغمات لتفادي هذا النقص.

و حاولنا أن ندرس فيما يخص الفقرات الصوتية الموظفة في لحن الأبيات و طبقناها على مقطع من قصيدة " لما رفع الستور " للشيخ قدَور بن عاشور : تؤدي هذه القصيدة حسب لحن صوتي فقط يختلف نسبيا على آدائها مرفوقة بالجوق الأندلسي:

1/ لمَّا رُفِعَ السُّتُوْرْ وَ شاَهَدْناَ اللاَّهُوْتْ

لَمْمَ رُفِعَ سْسُتوُ--- رْ وَ- شَهَدْنَ لْلاَ هُ ـ تْ

2/ فاَضَتْ عَلَيْناَ بُحوُرْ مِنْ عيَنِ الْجَبَرُوتْ

فَضَتْ عَلَيْناَ بحُ --- رْ مِ – نْ عَيْنِ لْ جَ – بَ – رُ ـ تْ

3/ فَآجْتَمَعَ ثوُرٌ بِنُوْرْ تلاَشَـتِ النُّعُوْتْ

فَجْتَمَعَ نوُرُنْ بِنُـ --- رْ تَ- لَشَتِ نْنُعُـ ـ تْ

و بعدها تنشد لازمة :

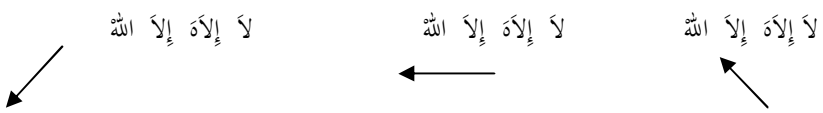

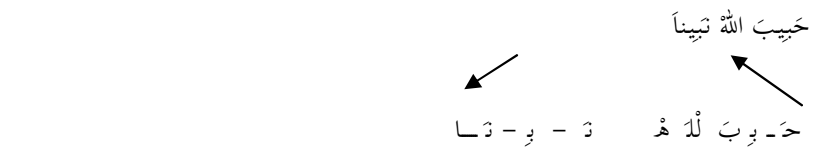

4

– السماع الصوفي في الزاوية المامشاوية[26]:

لا بد للمسمع أن يملك الصوت الجميل القوي الذي يستطيع من خلاله أن يصل السماع إلى كل مستمع حاضر و يؤثر فيه ويجب أن يكون له طول النفس.

يقول الدكتور صلاح يوسف عبد القادر: " وثمة حقيقة ، لا يمكن إخفائها في الإنشاد الشعري هي تباين طبقة الصوت من منشد إلى آخر، فمن منشد دقيق قوي ، إلى آخر يتميز بصوت أجش إلى ثالث يتميز بصوت هادئ ،و غيره يتميز بصوت جهوري، ويبدو أن ثمة ما ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار، هو العلاقة بين موضوع النص الشعري و طبيعة صوت المنشد فالأغراض الشعرية التي تتسم بطابع القوة لا تتناسب والصوت الهادئ أو الصوت الأجش كذلك الأغراض الذاتية فإنها لا تنسجم و الصوت الجهوري أو الصوت الدقيق القوي " [27]

يضيف بعض المريدين:"إن المقياس الأساسي هو الإذن في ممارسة فن السماع فالمسمع المأذون يقبل من طرف المريدين ".

5– وظيفة السماع:

يلعب السماع دورا هاما في عدة مجالات منها:

1/دور ترفيهي: التخفيف عن النفس من أشغال الدنيا.

2/دور تربوي: لما تتضمنه القصائد الشعرية من معلومات عن خبايا النفس و ضرورة محاربتها و آفات الدنيا و كيف تجنبها.

3/الصور البلاغية

(أَماَ تَنْظُرُ الطَّيْرَ الْمُقَفَّصَ ياَ فَتى إِذاَ ذَكَرَ آلأَوْطاَنَ حَنَّ إِلىَ الْمَغْنىَ)[28]

4/يعيد السامع إلى الله و إلى القرآن وإلى الرسول و السيرة النبوية الطاهرة و إلى الحديث النبوي الشريف ويساهم في تقوية الإيمان–القناعة من الدنيا–الصبر–الأخلاق الفاضلة.

5/تطور الشعور الفني: الإيقاع–الأنغام–الانسجام بين صوت المسمع ومحتوى الشعر واللحن المناسب الذي يثير المشاعر نحو السمو ويؤدّي بالسامع إلى التفاعل مع النغمات بالاهتزاز والحركة ولهذا سمي وجدا.

فالحداء حسب الإمام الغزالي نغمات موزونة للأرواح ، و يؤثر تأثيرا عجيبا، إما بحزن أو شعور بالفرح أو النوم أو الطرب فيصل المتأثر إلى درجة تحريك أعضاءه على حسب الوزن باليد والرجل والرأس لقول أحدهم:" من لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره، فهو فاسد المزاج، ليس له علاج " [29]

يؤثر السماع بصفة مذهلة في المتلقين فيهتزون أو يضطربون .وهذا ما يسمونه في الطريق الصوفي"الوجد".

أ – الوجد:

مفهومه اصطلاحا:

" وجد به وجدا: في الحب فقط، وكذا في الحزن، لكن يكسر ماضيه " [30]

يقول الإمام الغزالي في الوجد: " وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد، فالطمأنينة و الاقشعرار والخشية ولين القلب، كل ذلك وجد " [31]

- **أصله من الكتاب الحكيم :**

قال جلّ و علا:" لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله "[32].

وجاء في ذكر الله الحكيم:" وإِذاَ سَمعواُ ماَ أُنْزِلَ إِلىَ الرَسُولِ تَرىَ أَعْيُنُهُمْ تَفيِضُ مِنَ الدَمْعِ مِماَ عَرَفواُ مِنَ الحْقِ "[33].

فيتأثرون بكلام الله الجليل تخشع قلوبهم للرحمان وترق، فتنهمر الدموع من العين.

يقول سبحانه وتعالى :" تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلوُدُهُمْ وَ قُلوُبُهُمْ إِلىَ ذِكْرِ اللهِ " [34].

– أصله من السنة:

روى الصحابة الكرام عن الرسول (ص) بأنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل [35]

وذكر الإمام الغزالي في الإحياء عن وجد الرسول (ص) في القرآن. "وكان عليه الصلاة والسلام إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر. والاستبشار وجد" [36]

وجاء في وجد الرسول (ص) لغير القرآن الكريم. ما رواه السهروردي في عوارفه:" وقد روي عن كعب بن زهير أنه دخل على الرسول صلى الله عليه و سلم المسجد و أنشده أبياته التي أولها: بانَتْ سُعادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ .....

حتانتهى الى قوله فيها:

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من أنت؟ فقال : أشهد أن لا إلاه إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله. أنا كعب بن زهير [37] فرمى رسول الله صلى الله عليه و سلم بردة كانت عليه..."و كان كعب بن زهير مهدور دمه.

و نقل من وجد الصحابة عند القرآن الكثير و كذا التابعين، ومنهم من مات في غشيته " [38]

ويذكر أمثلة عن ذلك فيقول:" و من ذلك أن عمر بن الخطاب (ض) سمع رجلا يقرأ " إِنَ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مالَهُ مِنْ دَافِعٍ " [39] فصاح صيحة وخر مغشيا عليه، فحمل الى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا" [40]

فذكر الإمام القشيري في رسالته :" سمعت أباحاتم السجستاني يقول سمعت أبانصر يقول سمعت عبد الواحد بن علوان يقول :" كان شاب يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوما أن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني فكان إذا سمع شيئا يتغير و يضبط نفسه حتى كان يقطر كل شعرة من بدنه فيوما من الأيام صاح تلفت نفسه ".[41]

وقيل: " السماع فيه نصيب لكل عضو فما يقع إلى العين تبكي وما يقع إلى اللسان يصيح و ما يقع على اليد تمزق الثياب وتلطم وما يقع إلى الرجل ترقص..." [42]

قام السهروردي رحمه الله بشرح كيفية وقوع الوجد بطريقة علمية بحتة قال :" تارة يعظم وقعه ويتصوب أثره الى فوق نحو الدماغ كالمخبر للعقل فيعظم وقع المتجدد الحادث فتتدفق منه العين بالدمع، وتارة يتسرب إثره الى الروح فتموج منه الروح موجا يكاد تضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك الصباح والاضطراب وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال، وقد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب المجال" [43]

يقول الشيخ بومدين الغوث (ض) في الوجد : [44]

سُهَادِي وَوَجْدِي وَ اكْتِئَابِي وَ لَوْعَتِي

وَ شَوْقِي وَ سُقْمِي وَآصْفِرَارِي وَ أَدْمُعِي

وَ مِنْ عَجَب أَنِي أَحِنُّ إِلَيْهِمُ

وَ أَسْأَلُ شَوْقا" عَنْهُمُ وَ هُمُ مَعِي

وَ تَبْكِيهُمُ عَيْنِي وَ هُمْ فِي سَوَادِهاَ

وَ يَشْكُو النَّوَى قَلْبِي وَ هُمْ بَيْنَ أَضْلُعِي

و يرد على من نكر على الصوفية أحوالهم [45]:

وَ سَلِمْ لَنَا فِيماَ آدَّعَيْناَ لِأَنَّناَ إِذاَ غَلَبَتْ أَشْوَاقُناَ رُمْناَ صِحْناَ

وَ تَهْتَزُّ عِنْدَ آلْإِسْتِماَعِ قُلُوبُناَ إِذاَ لَمْ نَجِدْ كَتْمَ آلمَوَاجِيدِ صَرَّحْناَ

فالوجد الصحيح يطلق عليه أيضا " الوجد الصادق ".

أما التواجد فهو نفساني و الوجد روحاني و يرفض الأول بحجة أن للنفس حظ فيه إذا نتج عن تكلف.

إن الوجد المتكلف فيه ،فهناك من يسميه التواجد، ويعرفه الهجويري قائلا: "أما التواجد فيعني التكلف بإنشـــاء الوجـد وذلك باستحضار نعم الله ودلائل وجوده وصفاته سبحانه عزو جل والتفكير إلى الوحدة والبحثعن سلوك الأولياء الصالحين. والبعض يمارسون التواجد بطريقة شكلية وتقليدهم بالحركات الخارجية والرقص وجمال الحركات والتواجد مثل هذا مرفوض " [46]

يقول الشيخ العلاوي (ض):

فَالْوَجْدُ فِيهِمْ دَاعِي يَدْعِيهِمْ يَطْرَا عَلَيْهِمْ فِي ذِكْرِ اللهْ
وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَتَوَاجَدْ قَصْدا" يَتْعَرَّضْ لِفَضْلِ اللهْ [47]

ويكون التواجد بما يتكلفه العبد من حركات ظاهرة [48] و لذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى و يتحازن [49].

إن المقامات و الطبوع التي يتبعها المسمع تعبر عن حالات مختلفة وأساسا تترجم حالا باطنيا ، حال السرور الخفيف أو حال الحزن، وهي تعد بحق دعوة أو تأشيرة إلى سفر باطني، فجودة أداء المسمع مرتبطة بجودة السامع واستماعه ولما يقع توافق بينهما تضطرب أعضاء السامع فيقوم ليرقص.

ب/ آثار السّماع في نفسية المريدين:

لقد تبيّن من خلال البحث الميداني وباستعمال أسلوب الملاحظة بالمشاركة مع الفقيرات أو بمقابلتنا لفقراء و مقاديم حلقات الحضرة أو 'العمارة ' دور هذه الخلقات في توفير الراحة النفسية والاطمئنان للفرد. أثناءها يحاول التملّص للحظات من العالم الكثيف والمادي ومن كل الشواغل الدنيويّة بالاحتشاد النّفسي والعصبي، عن طريق التعلّق بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ومحاولة الذوبان في معانيها وصفاتها، فهي بهذا تعمل على جلاء القلوب و تصفية النّفوس من الأكدار، وتؤكّد الدكتورة منال عبد المنعم هذا من خلال قولها : " فمنهج الذّكر في الحضرة وسيلة هامّة لتزكية النّفس وتطهير القلب بالتخلّص من كافّة الهموم و الشّواغل الدّنيويّة وجميع الأغيار ونقائص النّفس وبه أيضاً يمتلئ القلب بالأنـــوار و الإشراقات الإلاهية " [50].

إن الإنشاد الشعري الصوفي يبعث في الرّوح نشاطاً، و قد عبّر بعض الصّوفية عن أهمية الإنشاد في حلقات الحضرة فقالوا:" إذا اعتبرنا الذّكر روح التصوّف، فالإنشاد روح الذّكر" [51]

هَذاَ السَّماَعُ الَّذِي تُشْفىَ الصُّدُورُ بِهِ
هَذاَ الْحَبِيبُ الَّذِي حَيَّرَ الْفِكْراَ
صُوفِيَّةٌ عِنْدَماَ ضاَقَتْ صُدُورُهُمْ
أَزاَلَ عَنْهُمْ جَمِيعَ الشَّكِ وَ الْكَدَراَ [52]

خاتمة:

تعرفنا من خلال هذه المقالة على ظاهرة السماع الصوفي السني في الزاوية المامشاوية المنتمية إلى الطريقة الشاذلية الدرقاوية و بعد تحديد مفهوم المصطلح حيث اتفقنا على أنه فن إنشاد يعتمد على الشعر الصوفي و يؤدى بطبوع تعود إلى الفن الأندلسي الأصيل و إلى إحدى روافده و هو فن الحوزي. قمنا بدراسة الوظيفة الأساسية في هذا الفن وأدواره المختلفة في التربية الدينية الروحية للمريدين وتوصلنا إلى الثمرة الحاصلة لدى المتلقين وهي الوجد و بعد تعريف هذا المصطلـــح و أصوله من القرآن والسنة وآثاره في نفوس المريدين ختمنا بحثنا المتواضع بسؤال نراه مهما وهو: 'إذا كان السماع الصوفي بهذه الدرجة من الفائدة لماذا لا يتم استغلاله في العلاج النفسي والعقلي في إطار الصحة العمومية؟'

الهوامش:

(1)يعرف السماع في الدين المسيحي ب (L'Oratorio Spirituel)

(2)الفيروز بادي ، "قاموس المحيط، ص 638 .

(3)"الأبعاد الصوفية في الإسلام و تاريخ التصوف" آنا ماري شيمل ، ص251

(4) تصريح السيد غوتي بن قلفاط–فقير و مسمع الزاوية المامشاوية إلى يومنا هذا .

(5) تصريح السيد قدور سبيع مقدم الزاوية المامشاوية و صهر الشيخ المرحوم قدور بن عاشور الزرهوني.

(6)تصريح السيد الحاج بختي (فقير بالزاوية المامشاوية بتلمسان).

(7) تصريح السيد حكمت صاري علي–رئيس جمعية الزوايا بالجزائر–.

(8) أبو القاسم القشيري،،"الرسالة القشيرية"،ص333

(9)" معجم مصطلحات الصوفية"، أنور فؤاد أبي خزام ، ص 167).

(10) يقول التهانوي في المشاهدة :"رؤية الحق يبصر القلب من غير شبهة كأنه رآه بالعين (المرجع نفسه ،ص 163).

(11) أبو القاسم القشيري ، " الرسالة القشيرية " ،ص 335.

(12) عبده الشمالي " دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية و آثار رجالها "، ص 461.

(13) تصريح السيد عبد الكريم غفور أخ الحاج محمد غفور من مدينة ندرومة. الميزان (يقصد به الإيقاع أو الوزن).

(14)خصص القشيري بابا كاملا في الموضوع في رسالته.

(15) « Le Soufisme et la dance », Michel Random, p174

)16(Michel RANDOM OP-Cit , p 170

(17) قيداري قويدر ، "الحضرة في منطقة أولاد نهار–دراسة تاريخية فنية–" ، ص 78.

(18) أبو حامد الغزالي ، 'إحياء علوم الدين –ج2–' ، ص 147.

(19)أبو حامد الغزالي ، "المصدر السابق" ، ص 147

(20) أنور فؤاد أبي خزام، المرجع نفسه ، ص 128 (و له : من الوله ، إفراط الوجد).(21)(و 1885م /ت 1927 م بدمشق، الملقب بصاحب الزاويتين، الأولى بتلمسان 'رحمة الله' و الثانية بدمشق 'الصمادية. يعتبر أحد شيخي الشيخ بن عودة بن مامشا رحمه الله صاحب الزاوية المامشاوية)

(22) "ديوان الشيخ محمد بن يلس"، مصطفى العشعاشي، ص 21.

(23) و(24) "موسيقى الغناء العربي"، عبد الحميد مشعل، ص 16

(25) الإيقاع و يسميه أهل الزوايا بـ " الريح "

(26) تقع الزاوية المامشاوية بوسط مدينة تلمسان في درب أولاد الإمام و شيخها الحالي سيد أحمد بن مامشا.

(27) صلاح يوسف عبد القادر، " في العروض و الإيقاع الشعري " ، ص 178.

(28) العربي بن مصطفى الشوار،"ديوان الشيخ أبي مدين الغوث' المتن الربانية الوهبية في المآثر الغوثية الشعيبية'،ص59.

(29) أبو حامد الغزالي ، المصدر السابق ، ص 147

(30) الفيروزبادي، قاموس المحيط ، ص 476.

(31) أبو حامد الغزالي،المصدر السابق،(أنظر باب السماع و الوجد) ، ص 185.

(32) سورة الحشر، آية 21.

(33) سورة المائدة ، آية 83/(34) سورة الزمر آية 23.

(35) حديث رواه أبو داوود والنسائي و الترميذي في الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير (عن إحياء علوم الدين ج–2 لأبي حامد الغزالي ، ص 186).

(36) أبو حامد الغزالي ، المصدر السابق ، ص 186.

(37) السهروردي ، 'عوارف المعارف' ، ص 198

(38) السهروردي ، االمصدر السابق ، ص ص 204–205.

(39) سورة الطور ، آية 7،

(40) أبو حامد الغزالي ، المصدر السابق ، الصفحة نفسها

(41) القشيري، االمصدر السابق ، ص 337.

(42) السهروردي ، المصدر السابق ، ص 340 .

(43) السهروردي ،المصدر السابق، ص 173

(44) دواوين آيات المحبين في مقامات العارفين ، ص 93 ،المطبعة العلاوية.

(45) HUDJWIRI , SOMME SPIRITUELLE, P 473 .

(46) و (47)العربي بن مصطفى الشوار ، المرجع نفسه ، ص 60.

(48)و (49) أحمد حسين كعكو ، 'هكذا تكلم اولياء الله الصالحون' ، ص 152

(50) و (51)منال عبد المنعم ، "التصوف في مصر و المغرب" ، ص 238.

(52)اليافعي ،" روض الرياحين في حكايات الصالحين " ، ص 11.